الوسائط الجديدة وقضايا المجتمع
ماستر2 اتصال جماهيري ووسائط جديدة

المحاضرة الأولى

مجتمع الإعلام والمعلومات

تمهيد:

تكاد تُجمع الخطابات والدراسات المتمحورة حول آفاق عصر المعلوماتية أنها ستعيد هندسة حياتنا الفردية والجمعية من خلال طرز حياة جديدة ومختلفة يمتزج فيها "الواقعي" ب"الافتراضي" و"التقني" ب" الاجتماعي" لتشهد الإنسانية أنماطا سلوكية جديدة وقوالب فكرية ولغوية وصلات وروابط اجتماعية عابرة للحدود الثقافية التقليدية، ومفاهيم جديدة للزمان والمكان، والهوية والوجود، والتواصل وحتى الثقافة، وكلها ممارسات وأشكال جديدة للفعل الإنساني سوف ترسم معالم المجتمعات الإنسانية الجديدة وتؤثث لفلسفة جديدة ولحضارة إنسانية جديدة.

ومثلما أفرزت الثورة الصناعية معالم مجتمع جديد هو المجتمع الجماهيري الذي كان نتيجة تحوّل المجتمعات من الزراعة إلى الصناعة، والتعقيدات المرتبطة بالكثير من جوانب الحياة تبعا لهذا التحول، والتي تميزت - المجتمعات الجماهيرية - بالتخلي عن الروابط الآلية التقليدية المتميزة بالتماسك والمشاركة الاجتماعية التي كانت تربطها لصالح العلاقات العضوية بما تعنيه من تفكك وتخصص، ومع تطور المجتمع و زيادة تعقيدات الحياة وارتفاع المستوى التعليمي وتعدد وسائل الإعلام وتعاظم دورها و توافرها لعدد كبير من الناس متنامي باستمرار، اتضحت ملامح المجتمع الجماهيري كمجتمع حديث يتكون من عديد الجماهير اللامتجانسة، ويشير إلى العلاقة القائمة بين الأفراد و النظام الاجتماعي؛ تلك العلاقة القائمة على الفردانية والعزلة والتخصص. فقد أفرزت الثورة المعلوماتية والطرق السيارة للمعلومات والانفتاح الواسع على الشبكات والفضاءات المفتوحة مجتمعا من نوع آخر، تشكّل الانترنت أحد أبرز دعاماته، وتشكّل المعلومة والمعرفة متغيراته الرئيسية.

وإن كانت الخطابات المتمحورة حول مجتمع الإعلام والمعلومات تتجاذبها "رؤى التهويل" التي تهوّل من انعكاسات المجتمع وتحولاته الجسيمة، و"رؤى التهوين" التي لا ترى فيه إلا نسقا من أنساق التغيرات الثقافية والمجتمعية، التي عرفتها وتعرفها وستعرفها الإنسانية تباعا.

في سياق هذا الجدل ستتناول المحاضرة تعريف مجتمع الإعلام والمعلومات والإشكالات المعرفية الثقافية المرتبطة بهما.

1- مسارات التحول...المسار التاريخي:

في الوقت الذي كان خروتشوف واثقا من تفوق الاشتراكية وقدرات السوفييت إلى الحد الذي جعله يصرخ قائلا: سوف نقبركم وكان هذا بتاريخ 1956، كان لا يدري أن الآخر وهو الولايات المتحدة الأمريكية (الموعود بالقبر) يتهيأ لدخول عصر جديد وحضارة جديدة. فقد كان دلك هو العام الأول الذي لوحظ فيه أن أصحاب القبعات البيضاء ومستخدمي الخدمات أصبحوا أكثر عددا من القبعات الزرقاء وعمال المعامل في الولايات المتحدة الأمريكية.

كانت تلك العلامة الأولى والفارقة على تراجع الاقتصاد المصنعي المرتبط بالموجة الثانية لصالح الاقتصاد الخدمي للموجة الثالثة، وتدور الفكرة الجوهرية لأطروحة الموجة الثالثة la troisième vagueعند "ألفين توفلر" في دراسة المرحلة الحضارية الثالثة "الثورة التكنولوجية والمعلوماتية" التي توصل إليها تطور المجتمع البشري بعد الثورة الزراعية والصناعية باعتبارهما تمثلان مظاهر الحضارات البشرية الأولى، المجسدة لما أنجزه تطور المجتمعات وما يميز مرحلة عن أخرى.

فكل شيء في هذه الحضارة الجديدة يتناقض ويتعارض مع الحضارة الصناعية التقليدية القديمة، وهي في ذات الوقت ذات تكنولوجيا متقدمة مناهضة للحركة الصناعية، فأسلوب حياة الموجة الثالثة مقام على أسس من مصادر الطاقة المتنوعة والقابلة للتجديد وعلى نهج إنتاجي يقضي على معظم خطوط التجميع في المصنع، وعلى أسر جديدة لا نووية، وعلى مؤسسات جديدة يمكن تسميتها ب"الكوخ الالكتروني" وعلى مدارس ذات بنية مختلفة جذريا، وللحضارة الجديدة رموز سلوكية جديدة تتجاوز المعايرة والمزامنة والمركزية، وتتجاوز أيضا التركيز على الطاقة والمال والسلطة

وقد صاحبت الموجة الثالثة للتطور البشري حسب توفلر ظاهرة العولمة mondialisation وظهور المؤسسات العابرة للقارات ذلك بفضل التطور التكنولوجي للاتصال والمعلومات التي فرضت خريطة جيو إعلامية جديدة التي أسفرت بدورها على تغيير الخرائط جيو اقتصادية وجيو سياسية .

ترى الكثير من الدراسات أن مجتمع المعلومات ظهر في الستينات في كتاب مجرة غوتنبرغ للمفكر مارشال ماكلوهان، والذي تنبأ بأهمية المعلومات في القرية العالمية، وظهر المفهوم بشكل رسمي عام 1994 في بروكسل عندما عرض المحافظ بن جامين تقريره حول "الطرق السريعة للمعلومات"

2- مجتمع الإعلام/ مجتمع المعلومات...جدل المفهوم وتخومه المعرفية

إذا نظرنا إلى مجتمع المعرفة كظاهرة متعددة الأبعاد (اقتصادية- ثقافية- معرفية واجتماعية.. وغيرها) نستشف "كثافة مصطلحية"في وسمها وتحديد دلالاتها، ما يجعل المفهوم عائما وفضفاضا ومشتتا بين الكثير من المفاهيم والمصطلحات الأخرى، فنجد مثلا مجتمع الإعلام/ مجتمع المعلومات/ مجتمع المعرفة/ المجتمع ما بعد الصناعي/ المجتمع الشبكي.... وغيرها كثير من المصطلحات التي تمثل مظلة تنضوي تحتها الكثير من الأفكار والتأويلات، والصيرورات والامتدادات العلمية على الكثير من المشارب الفكرية والحقول المعرفية.

لكن ماذا نعني تحديدا ب"مجتمع المعلومات"؟ إذا أخذنا بهذا المصطلح تجاوزا، باعتباره الأكثر حضورا في الأدبيات التي تتناول الظاهرة، هل هو المجتمع الذي تتسلل فيه التكنولوجيا إلى كل الفضاءات الفردية والجماعية؟ هل هو المجتمع الذي يمتلك أفراده الكثير من الحواسيب، ويكثر فيه عدد مستخدمي الانترنت؟ هل هو المجتمع الذي تتشكل عائداته من الأنشطة ذات الطبيعة الذهنية؟ هل هو مجتمع "الوفرة التكنولوجية/ أو المعلوماتية"؟ هل هو المجتمع الذي يمتد فيه فضاء الترفيه الفردي والمجتمعي وتتقلص فيه الفضاءات الأخرى؟ على اعتبار أن هناك بدائل ذكية تقوم بما يقوم به الفرد؟

يعود تاريخ استخدام عبارة "مجتمع المعلومات" في الأدبيات الاجتماعية العلمية إلى نهاية السبعينات وبداية الثمانينات من القرن العشرين، وقد تزامن ذلك مع جدالات ونقاشات حيوية حول رهان تكنولوجي استراتيجي وهو الثورة الميكرو الكترونية وانعكاساتها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

لا يمكن الحديث عن مجتمع المعلومات دون تحديد ماهية المجتمع/ المعلومات والبيانات وعلاقتها بالمعرفة

المجتمع يعني نظاما يتكون يتكون من مجموعة أفراد يعيشون في موقع معين، ويترابطون فيما بينهم بعلاقات ثقافية واجتماعية واقتصادية ويسعى كل واحد لتحقيق مجموعة من المصالح والأهداف المشتركة.

المعلومات أحد اشتقاقات كلمة "علم" وهي ترتبط بالإحاطة والإدراك والوعي، يمكن تعريفها على أنها بيانات منسقة ومرتبة ترتيبا يضعها في إطار ذي مغزى محدد، حيث يتمكن الإنسان من خلال توظيفها إلى الوصول إلى المعرفة. بمعنى آخر هي بيانات (مادة خام) تمت معالجتها لتحقيق أهداف معينة، بيانات أصبح لها قيمة بعد تحليها وتجميعها وتفسيرها،

من التعريفات التي أعطيت لمفهوم مجتمع المعلومات "هو مجتمع تتاح فيه الاتصالات العالمية، وتنتج فيه المعلومات بكميات ضخمة، كما توزع توزيعا واسعا، وتصبح فيه المعلومات الرافد الأساس للاقتصاد.

يعدّ مجتمع المعلومات والمعرفة آخر أنماط المجتمعات التي صنفها علماء الاجتماع. ويتسم هذا المجتمع بالكم الهائل من المعلومات التي يتم إنتاجها، مقارنةً بما كانت عليه المجتمعات السابقة الزراعية ومجتمعات الصيد؛ فالتقدم التقني والعلمي يحدث بشكل سريع، إذ لا تكاد تمرّ عدة سنوات إلا ويكون هناك اكتشاف أو اختراع جديد في كافة مجالات الطب، والطاقة، والفضاء..

3- خصائص مجتمع المعلومات:

يتميز هذا المجتمع بعدة خصائص، مثل: سرعة المواصلات، والاتصالات، واللاتزامنية ثنائية التفاعل بين الزمان والمكان في الإعلام وصناعته، بالإضافة إلى سهولة نقل المعلومة.. ويعد هذا جانبًا إيجابيًّا للتقدم التقني؛ ولكن هذه الإيجابيات أظهرت نوع التفاعلات الكامنة المحركة لها، متمثلة في التنافس، والتسابق، والصراع؛ فالصراع الحقيقي لايكمن فيمن يشتري أولًا بل فيمن يحصل على المعلومة أولًا، ومن يُسمح له بإنتاج المعلومات، ومن ثَم تحويلها إلى تطبيقات تكنولوجية؛ فالمعرفة والمعلومات هي القوة، وهي جوهر الصراع.

- مجتمع المعلومات ليس مجرد تطبيقات لتكنولوجيا المعلومات، بل هو البنية الأساسية التي تتيح للمجتمع فرصة الانتقال أو الاندماج في التطورات الحاصلة في التقدم الحضاري، التي أساسها المعلومات كقوة استراتيجية أصبح لها أسواقها الحرة.

- يعتبر مجتمع المعلومات نظاما اقتصاديا واجتماعيا وفلسفيا تشكل المعرفة الفكرية مصدرا رئيسيا له لتحقيق التقدم وحقوق الإنسان، وتكامل المؤسسات بمختلف أصنافها.

- أهم خاصية يتميز بها مجتمع المعلومات هي "الانفجار المعلوماتي" وهي تشير إلى اتساع المجال الذي تعمل فيه المعلومات لتشمل كافة انماط النشاط الإنساني، وتصبح لها أسواق أكثر أهمية من الأسواق الصناعية والزراعية، لتفتح المجال واسعا لتغير في أنماط التخصصات الإنسانية وتتربع على هرم الأنشطة الإنسانية.

مراجع المحاضرة:

- الفن توفلر، حضارة الموجة الثالثة، ترجمة عصام الشيخ قاسم، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي، ليبيا، الطبعة الأولى، 1999،

- الفن وهايدي توفلر، إنشاء حضارة جديدة سياسة الموجة الثالثة، ترجمة، حافظ الجمالي، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1997،

- جمال العيفة، الثقافة الجماهيرية عندما تخضع الثقافة لقوى السوق، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، 2003.

الصادق رابح، مجتمع المعلومات ..في البحث عن فاعلية معرفية للمفهوم ، عالم الفكر، العدد1، يوليو 2007، متوفرة على الرابط: https://archive.alsharekh.org/Articles/34/12680/247586